

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيد المرسلين

أرضية الجامعة الربيعية الثانية :

تقديم:

إن ودادية موظفي العدل باعتبارها منظمة جماهيرية تمثل جلّ موظفي الإدارة القضائية "هيئة كتابة الضبط"، لتضع الاشتغال على القضايا المهنية بمفهومها الواسع على رأس أولوياتها، وبما أنّ هذه الأخيرة لا تستقل عن التخليق في تحقيق الغاية المرجوة منها، بادرت ودادية موظفي العدل منذ سنوات عدّة إلى إصدار "ميثاق قيم وسلوك كتابة الضبط" بذلت غاية الوسع في إخراجها مستوفي المبادئ ومتكامل المحاور، ونحسب أنّنا لم نعد الصواب حينما اخترنا ربط المهني بالأخلاقي في تصوراتنا واهتماماتنا، وأيضا في أنشطتنا الإشعاعية المتناسقة المبنى والمتساوقة المعنى، أنشطة، هي في أصلها سلسلة مترابطة، نصل اليوم حلقة من حلقاتها والتي قبلها في إطار ما أسمينا بالجامعات الربيعية.

لم يكن حديثنا عن فعالية ونجاعة العدالة ضمن فعاليات الجامعة الربيعية الأولى حديثا نظريا صرفا، بل حديثا عن الهدف الأسمى الذي يجب أن يحكم مكونات العدالة وأن يحكم قبلهم الوزارة الوصية أثناء وضعها لمشاريع الإصلاح الشامل والعميق، وبما أنّ الأسئلة المقلقة والمؤرقة التي ناقشناها على مدى يومين بمعية جلّ مكونات العدالة مازالت تستفزنا لأن مجالاتها لم تتحرك بعد كما ينبغي على مستوى التفعيل والتنزيل، سواء تعلق الأمر بمحور النجاعة وسؤال الاستقلالية حيث لا زالت مستوياتها محلّ أخذ ورد بين الحدود التي ينتهي فيها القضائي ويبدأ فيها الإداري فيما له علاقة بسلطة التبعية، أو محور النجاعة وسؤال التكوين حيث لا يزال الحديث عن المدرسة الوطنية للإدارة القضائية وغيرها من المؤسسات المتخصصة في تكوين مساعدي القضاء مغيبا، أو محور النجاعة وسؤال تدبير الموارد البشرية حيث لم يحسم بعد في الصيغة النهائية للدليل المرجعي للمهام والكفاءات.

إيماننا منّا داخل مكتب الدراسات لإصلاح وتحديث الإدارة القضائية كمؤسسة علمية متخصصة من داخل ودادية موظفي العدل - بأنّ الإصلاح الشامل إبحار في مسار قد يطول وقد يقصر بحسب مدى توفير الظروف الذاتية والموضوعية الملائمة لتحقيقه، والتي لن يكون أولها سوى الإرادة السياسية الحقيقية، وأنّه لن يكون نقطة تحوّل من وضع الكلاله الذي تضيع فيه الحقوق والحريات بنسبة أو أخرى إلى وضع العدالة المتسمة بالفعالية والنجاعة، اخترنا ميناء التخليق لترسو فيه سفينة جامعتنا الربيعية الثانية، نظرا لما يكتسي من أهمية، إذ ما ساد التخليق مجالا إلا وسدّ الكثير من ثلم النصوص القانونية والتنظيمية المؤطرة له، وما ضمّر في آخر الإلتصاق بالقصور والنقص فيه وإن كانت نصوصه القانونية والتنظيمية غاية في الجودة والدقة، ولعلّ هذا هو ما أوما إليه الخطاب الملكي بمناسبة الذكرى الرابعة عشر لعيد العرش بتاريخ 30 يوليوز 2013 حيث جاء فيه: "ومهما تكن أهمية هذا الإصلاح، وما عبّأنا له من نصوص تنظيمية، وآليات فعالة، فسيظلّ "الضمير المسؤول" للفاعلين فيه هو المحك الحقيقي لإصلاحه، بل وقوام نجاح هذا القطاع برمته".

لا شك أنّ حضور الضمير المسؤول لدى المنتمين لمنظومة العدالة من شأنه أن يحقق الطفرة على مستوى التغيير وتحقيق النتائج المتوخاة، إلا أنّ ما يميّز هذا المستوى من مستويات التخليق - رغم أهميته - هو كونه منوط بالقناعات الشخصية للمنتمين للمنظومة، وهم ليسوا على قلب رجل واحد، كما أنّه لا يكتسي أية إلزامية لكونه يتأسس في أحسن الأحوال على مدونات قيمية وسلوكية وضعتها الفئات المهنية المختلفة ولم تتبوأ بعد ما تستحق من مكانة، وهذا ما يعني أنّه مجالّ للتحسيس بامتياز.

طبعاً، إنّ سؤال التخليق يتجاوز بكثير هذا المستوى، ولا يمكنه أن يبقى رهينا به، وإذا كان الحديث عن الضمير المسؤول يغلب عليه الطابع التحسيبي فهناك آلية أخرى لا غنى عنها لتحقيق التخليق، لكنها تختلف عن الأولى من حيث خصائصها، إنها آلية التفتيش التي يغلب عليها الطابع الإلزامي، لكونها مؤسّسة على قواعد قانونية لا يعذر أحد بجهلها، وقد أكدّ ميثاق إصلاح منظومة العدالة في هدفه الرئيسي الثاني الخاص بالتخليق على محورية "تعزيز

آليات الجزاء لضمان نزاهة وشفافية المنظومة"، ومع ما يكتسبه هذا التوجّه من أهمية، نرى ضرورة تعميق النقاش فيه ليتمّ نقله من إطار التوصيات النظرية إلى إطار الواقع العملي، وهو ما لا يمكن الوصول إليه في نظرنا- ما دام الإطار القانوني المنظم لعمليات التفتيش القضائي والإداري إطارا ضعيفا وقاصرا لا يفي بالغرض.

لا شك أنّ هناك مستويات أخرى يمكن أن يتم مقارنة موضوع التخليق من خلالها، مستويات لا تقل أهمية عن المستويين سالفين الذكر، لكنها لا تستقل في نظرنا عن مقتضيات التحسيس أو مقتضيات التفتيش، وهذا ما جعلنا نجمل تفاصيل جامعتنا الربيعية الثانية فيما يلي:

أولا: الشعار

تخليق منظومة العدالة بين التفتيش والتحسيس

ثانيا: محاور الجامعة الربيعية الثانية:

التخليق وسؤال الرقابة المؤسساتية
التخليق وسؤال الرقابة الذاتية والمجتمعية

ثالثا: الأسئلة الإشكالية

كيف نستطيع الرقيّ بالمدونات القيمية والسلوكية ؟
وهل يمكن إضفاء نوع من الإلزامية على مضامينها المتوافق حولها من قبل الفئات المهنية التي وضعتها ؟
وما هي الوسائل القمينة بذلك ؟
ما هي جوانب القصور في الإطار القانوني المنظم للتفتيش بوزارة العدل والحريات ؟
وما هي الهيكلية الفضلى للتفتيش مع الأخذ بعين الاعتبار استقلالية شقه القضائي عن شقه الإداري والمالي ؟
وهل يمكن الحديث عن فتح آفاق جديدة للتفتيش ؟
كيف يمكن الانتقال من مستوى رصد الاختلالات لجزر المسؤولين عنها إلى مستوى الإسهام في التأطير والتكوين بل وتوحيد العمل القضائي والإجرائي بكل محاكم المملكة ؟
وهل مساطر التأديب داخل المهن القضائية خاضعة للتفتيش بالشكل الذي يضمن تحقيق العدالة عند أبنائها على اعتبار أنها إذا فقدت بينهم ستفضي بالضرورة إلى زعزعة الثقة في المنظومة ككل ؟
هل من أدوار للرقابة المجتمعية في تخليق منظومة العدالة من خلال المؤسسات الدستورية ؟
هل من أدوار للرقابة الإعلامية في تخليق منظومة العدالة من خلال نشر الأحكام القضائية أو من خلال الرفع من منسوب الوعي القانوني والقضائي لدى عموم المواطنين ؟
بناء على ما سطرنا أعلاه ندعو كلّ مكونات المشهد القضائي، وكلّ المهتمين بمستقبل منظومة العدالة لمشاركتنا هذه المأدبة العلمية والمهنية والمساهمة الفعالة في مناقشة محاورها ومقاربة حلول ناجعة لكل الإشكالات المرتبطة بموضوع التخليق تفتيشا وتحسيسا.

المكتب المركزي لودادية موظفي العدل

مكتب الدراسات لإصلاح وتحديث الإدارة القضائية

تخليق منظومة العدالة
بين التفتيش والتحسيس

يومي 29 و30 أبريل 2016 بالمعهد العالي للقضاء بالرباط

Plateforme de la Seconde Université Printanière

Introduction :

Notre discours à propos de l'efficacité et de l'efficience de la justice lors des manifestations de la première Université Printanière n'a pas été purement théorique mais il portait sur l'objectif ultime qui devrait orienter les composantes de la justice et devrait également orienter le Ministère Tuteur lors de la mise en place des projets de réforme globale et profonde.

Par ailleurs, les questions acerbes et accablantes que nous avons débattues durant les deux jours avec l'ensemble des composantes de la justice nous préoccupent encore car les domaines de celle-ci ne se sont pas encore suffisamment mobilisés aussi bien sur le plan opérationnel que pratique.

Ceci est valable et sur le plan d'efficience et sur celui de l'autonomie où les niveaux de celle-ci se trouvent encore en va et vient entre les limites de l'aspect judiciaire et de l'aspect administratif par rapport au pouvoir de dépendance, ou bien sur le plan de l'efficience et de la formation. Et à ce propos, il est toujours question de l'absence de tout débat sur l'Ecole Nationale de l'Administration Judiciaire ainsi que sur les autres établissements spécialisés dans la formation des auxiliaires de justice. Il en est de même pour l'efficience et la question de la gestion des ressources humaines où il n'a pas été encore tranché sur la formule définitive déterminant le guide référence des tâches et des compétences.

Persuadés, au sein du Bureau des Etudes de la Réforme et de la Modernisation de l'Administration Judiciaire, que la réforme globale n'est qu'une poursuite d'une trajectoire dont les dimensions dépendent de la disponibilité

des circonstances objectives et subjectives nécessaires pour la réalisation de ladite réforme et qu'une véritable volonté politique demeure à la tête de ces circonstances ; Que ladite réforme ne devra pas pour autant être un point de déplacement d'une situation de lassitude où sont perdus, d'une manière ou d'une autre, les droits et libertés, à une situation de justice marquée par l'efficacité et l'efficience. C'est ainsi que nous avons adopté un chemin de moralisation au titre de notre Seconde Université Printanière, vu l'importance qu'elle revêt et le fait qu'elle comble pertinemment de nombreuses lacunes inhérentes aux textes de loi et aux textes organiques régissant un domaine, dès qu'elle s'y installe; En effet, si la moralisation est implicite dans un domaine, la carence et l'insuffisance le dominant, bien que les textes juridiques et organiques le régissant soient pertinents et de haute qualité; Et c'est ces lacunes que le discours royal de la fête du trône du 30 juillet 2013, (14^{ème} anniversaire), aurait évoquées, citant : « *Mais quelle que soit l'importance de cette réforme, des textes réglementaires et des mécanismes efficaces qui ont été mobilisés à cet effet, il n'en reste pas moins que c'est la conscience responsable des parties prenantes qui sera le véritable test pour évaluer cette réforme, voire la clef du succès de ce secteur tout entier* » ;

La présence de la conscience responsable chez les acteurs du système de la justice peut sans doute favoriser une mutation sur le plan du changement et de la réalisation des résultats escomptés. Néanmoins, ce niveau de moralisation est tributaire, en dépit de son importance, des convictions personnelles différentes de ses acteurs. De surcroît, cette moralisation ne revêt aucun caractère contraignant du fait qu'elle n'est fondée, dans les meilleurs des cas, que sur des valeurs et des comportements mis en place par des entités professionnelles diverses, et qui n'ont pas encore eu la place qu'elles méritent ; qu'il s'agit donc d'un domaine de sensibilisation par excellence.

En effet, la question de la moralisation dépasse largement ce niveau et ne peut toutefois demeurer dépendante de celui-ci. Et si le discours portant sur la conscience responsable était marqué par le caractère de sensibilisation, il existe un autre mécanisme indispensable pour mettre sur pieds cette

moralisation. Néanmoins, celle-ci se diffère de la première au niveau des caractéristiques. Il s'agit d'un mécanisme d'inspection à caractère contraignant du fait qu'il est fondé sur des règles juridiques que nul n'est sensé ignorer. La charte de la réforme du système de la justice a confirmé en matière de son second objectif principal relatif à la moralisation l'importance de « renforcer les mécanismes de répression pour garantir l'impartialité et la transparence du système ». D'ailleurs, nous estimons qu'il est nécessaire d'approfondir le débat autour de cette tendance, vu l'importance qu'elle revêt, pour la porter des recommandations théoriques au cadre opérationnel réel ; De notre point de vue, cet objectif ne peut être atteint tant que le cadre juridique régissant les opérations d'inspection judiciaire et administrative demeure faible et insuffisant.

Il existe certes d'autres niveaux, aussi importants que ceux précités, au moyen desquels on peut effectuer une approche de la moralisation. Toutefois, ces niveaux demeurent à notre avis, tributaires des dispositions de sensibilisation ou d'inspection. Et cela nous amène à résumer les idées de notre Seconde Université Printanière comme suit :

Premièrement : Thème

Moraliser le système de justice entre inspection et sensibilisation

Deuxièmement : Les axes de la Seconde Université Printanière.

Moralisation et question du contrôle institutionnel.

Moralisation et question d'autocontrôle et du contrôle sociétal.

Troisièmement : Questions Problématiques

Comment peut-on promouvoir les codes de valeurs et de comportements.

Peut-on rendre contraignantes les dispositions des codes précités et mis en place en vertu d'un consensus par les entités professionnelles ?

Quels sont les moyens nécessaires pour la réalisation de cet objectif ?

Quels sont les aspects de déficience du cadre légal régissant l'inspection au sein du Ministère de la Justice et des Libertés ?

Quelle est la structure idéale d'inspection en prenant en compte l'autonomie du volet judiciaire vis-à-vis du volet administratif et financier ?

Peut-on parler d'une ouverture de nouveaux horizons d'inspection dépassant la détection des dysfonctionnements, pour réprimer les responsables et aboutir à une contribution dans l'encadrement et la formation, voire à l'unification de l'acte judiciaire et procédural au sein de tous les Tribunaux du Royaume ?

Est-ce que les procédures correctionnelles au sein des professions judiciaires sont assujetties à une réglementation qui garantie la réalisation de la justice chez ses individus sachant que l'absence de cette justice aboutit forcément à la perte de confiance au sein du système dans son ensemble ?

Existe-t-il des rôles pour le contrôle sociétal dans la moralisation du système de la justice à travers les institutions constitutionnelles ?

Existe-t-il des rôles pour le contrôle médiatique dans la moralisation de la justice à travers la publication des jugements judiciaires ou à travers la promotion de la conscience juridique et judiciaire chez l'ensemble des citoyens ?

Le Bureau des Etudes de la réforme et de la modernisation de l'Administration Judiciaire

يومي 29 و 30 أبريل 2016 بالمعهد العالي للقضاء بالرباط